قرطاجة

(تتمة ما سبق)

على ان هذا كلهُ لم يزد انيبال الاحماسةً وثباتاً فانصرف الى اصلاح خلل الحكومة والعمل على تكثير الموارد المالية ليتخذ منها عُدّةً على استئناف الحرب فلم يلبث ان ازداد دخل الدولة وقامت بأداء تلك الغرامة الفادحة في مدة عشر سنوات . فهال رومية ما رأتهُ من تلك النهضة السريعة وعادت تطلب من قرطاجة تسليم انيبال اليها ففرّ من وجهها وقصد انطيوخس الكبير في أَفَسُس واستعداهُ على رومية فوعدهُ ولكنهُ لم يلبث ان نكل عن وعدهِ . وفي تضاعيف ذلك اشتبك انطيوخس في حربٍ مع رومية كانت الدائرة فيها عليهِ فكان من جملة شروط الصلح ان يسلّم اليها انيبال فتحوّل انيبال الى كريت ثم الى بيثينيا فارسلت رومية تطلبهُ من پروسياس ملكها فلم يسعهُ الخلاف ولما علم انيبال بذلك شرب من سمٍّ كان معهُ فمات ولهُ من العمر اربع وستون سنة

وكانت رومية لا تزال تحذر جانب قرطاجة فكان من همّها ان لا تترك وسيلةً لارغامها واذلال شوكتها . وكان على نوميديا ملكٌ يقال لهُ ماسيسينا وهو شيخٌ كبير كان يضمر للقرطاجيين اشدّ العداوة فجعل يدسّ الشحناء بين قرطاجة ورومية ويكيد لها المكايد ثم اخذ يقتطع من املاكها المدينة بعد المدينة والايالة بعد اختها لعلمهِ بانها لا تستطيع مناهضتهُ لان شروط الصلح مع رومية قد غلّت يدها عن ذلك . فرفعت قرطاجة ظُلامتها

الى رومية فتثاقلت عن اجابتها وجعلت تطاولها في الامر الى ان اسرف ماسيسينا في الاستطالة والبغي ولما لجّت في الشكوى انفذت اليها سفرآء ينظرون بينها وبينهُ وزوّدتهم بما شآءت من اوامرها فلم ينصفوها . وازدادت وطأة النوميديين شدّةً على القرطاجيين حتى ضايقوهم اشد المضايقة ولم يبقَ في وسعهم الا ركوب الحرب فخصرهم ماسيسينا واهلك منهم نحو ستين الف رجل بالسيف والجوع . وكانت رومية تتوقع سبباً للايقاع بقرطاجة فاتخذت هذه الحرب حجةً عليهم لان فيها نقضاً لاحد شروط الصلح وسيّرت اليهم جيشاً كثيفاً يتألف من ثمانين الف راجل واربعة آلاف فارس تحت امرة ثلاثة من القوّاد امرتهم ان يضرموا الحرب على المدينة ولا يرجعوا عنها حتى يتركوها قاعاً صفصفاً . وايقن القرطاجيون انهم لا طاقة لهم بهذا الجيش فانفذوا وفداً من قِبلهم الى القوّاد يطلبون المتاركة ويضمنون لهم الرضى بكل ما تقضي بهِ رومية بشرط ان تُبقي على المدينة فوعدهم القواد بذلك على ان يسلموا اليهم ثلاث مئة رهينة من اشرف أُسَرهم ضمانةً على القيام بكل ما سيتقاضونهُ من المطالب

فعَظُمَ هذا الطلب على القرطاجيين ولكنهم لم يجدوا بدّاً من الاجابة اليهِ وكتم القوّاد شروط المتاركة الى ما بعد وصول الرهائن اليهم واخذوا بعد ذلك يتقاضونهم تلك الشروط واحداً بعد واحد بحيث انهم كلما انفذوا شرطاً عرضوا عليهم غيرهُ لانهم خافوا ان عرضوا عليهم الشروط كلها دفعةً واحدة ان يثوروا ثورة اليأس. فطلبوا اولاً ان يجهزوا لهم ما يكفي الجيش من الحبوب ثم ان يسلموا جميع ما بقي عندهم من السفن ثم جميع ذخائر الحرب واخيراً ما كل

عندهم من السلاح وكان ما سُلّم اليهم مئتي الف شِكّة وهي السلاح الكامل

ولما اصبح القرطاجيون مجردين من كل سلاح ولم تبقَ لهم قوةٌ على المقاومة اعلنوا لهم الامر بتدمير المدينة وان يخرج السكان الى مسافة ثلاثة اميال من البحر. فلما سمع القرطاجيون ذلك وقع عليهم وقوع الصواعق وصمموا على الدفاع ولو هلكوا عن بكرة ابيهم فجمعوا كل ما بقي في المدينة من المعادن وضربوهُ سلاحاً وكانوا كل يومٍ يصنعون مئة ترس وثلاث مئة سيف وخمس مئة رمح والف حربة وانتزعوا جوائز البيوت فبنوا منها سفناً وكانت النسآء تجزّ شعرها ليُفتل حبالاً ثم هبوا تحت قيادة اسدروبال فكسروا جيش الرومان واحرقوا اسطولهم. واجتهد الرومان في هدم اسوار قرطاجة بكل ما استطاعوا من فنون الحصار حتى ذكر ابيانوس انهم اتخذوا لهدم السور كبشين هائلين كان كلٌّ منهما يدفعهُ ستة آلاف رجل فتمكنوا من فتح ثغرةٍ في السور فخرج القرطاجيون من هذه الثغرة واحرقوا آلات الحصار ودحروا جيش الرومان الى اوتيكا

واذ ذاك ارسلت رومية اميليانوس احد كبرآء قوّادها فانجد جيش الرومان واستولى على القسم الاسفل من قرطاجة المعروف بالمغارة ثم احتفر خندقاً عظيماً قطع بهِ البرزخ الذي يصل بين المدينة وسائر البرّ ليمنع وصول المدد اليها وكان عرض هذا البرزخ نحو ٤٦٠٠ متر وبنى سدًّا دون الفرضة البحرية عرضهُ من قاعدتهِ ٩٦ قدماً ومن قمتهِ ٢٤ قدماً ولا تزال بقايا هذا البنآء الهائل ماثلةً الى اليوم فقطع عنهم المدد من البحر ايضاً. فلما رأى القرطاجيون ذلك بذلوا اقصى ما بقي لهم من القوة فشرع الرجال والنسآء

والاولاد ينقبون في الصخر حتى فتحوا لهم منفذاً الى شاطئ البحر ثم انزلوا اسطولاً مؤلفاً من مئة بارجة ضربوا به اسطول الرومان ونزل اناسٌ منهم فسبحوا في البحر الى الجهة التي كانت فيها آلات الحصار ثم خرجوا بغتةً من المآء ووضعوا النار في تلك الآلات ففرّ جيش الرومان مذعورين ولحقوا بمعسكرهم

وبعد ذلك جمع الرومان بأسهم وعادوا الى حصار المدينة ونصبوا السلالم على الاسوار فتسلقوها وانتشروا في المدينة وكان اهلها قد خارت قواهم من الجوع فلم يستطيعوا مقاومتهم وما خيم الليل حتى كانوا جيشاً عظيماً في وسطها وهجموا على القلعة وهي في اعلى المدينة فبلغوها وثباً عن سطوح المنازل واعملوا الآلات في نقب سورها حتى اذا كادوا يفرغون من العمل خرج اليهم جماعةٌ ممن كانوا في هيكل اسكولاپ وهو اشمون يعرضون عليهم التسليم وكان هناك خمسون الفاً بين رجال ونسآء واولاد فتتابعوا الى معسكر الرومان خاضعين . ودخل اسدروبال وجماعتهُ الهيكل المذكور وكانوا تسع مئة نفس فابوا التسليم ولبثوا على المقاومة اياماً ثم ادرك اسدروبال الفشل والحرص على الحياة فتركهم على حين غِرّة ونزل الى معسكر الرومان وفي يدهِ غصن من الزيتون . فلما علم اصحابهُ بذلك اضرموا النار في الهيكل ولبست زوجة اسدروبال افخر حللها واخذت بيدي ولديها والقت بنفسها في النار بعد ان لعنت زوجها ولعنت الرومان واقتدى بها سائر من كان هناك من المقاتلة فاحترقوا عن آخرهم ولبثوا مدفونين تحت انقاض الهيكل . ودار القتل والنهب والحريق في المدينة فاستمرّت النار تعمل فيها مدة سبعة ايام وكان

في المدينة سبع مئة الف نفس فذهبوا كلهم بين السيف والنار ومن بقي منهم حياً من الاطفال والنسآء والشيوخ جرَّهُ الجند بالكلاليب فدفنوهُ حياً مع القتلى تحت انقاض المدينة ولا تزال الى الآن طبقةٌ من الرماد والحجارة السودآء والخشب المتفحم والمعادن التي سبكتها النار والعظام المتكلسة الى عمق خمسة او ستة امتار عن وجه الارض وكلها شاهدة بما كان من فظاعة ذلك التدمير الوحشي . فاصبحت المدينة باسرها رجمة من الحجارة والحُمَم ولم يبقَ قائماً منها سوى بعض الارباض فوجَّه مجلس الشيوخ برومية لجنةً من قِبَلهِ للاجهاز على كل ما بقي من المدينة من منازل وهياكل واسوار فدُكَّ كل ذلك الى الارض وعادت تلك المدينة الغنّآء بل الجمهورية الزاهرة كأن لم يتسبق بها عهد وكان ذلك سنة ١٤٦ قبل الميلاد

اعمار السمك

ما زالت معرفة اعمار السمك ومبلغ قوة النموّ فيهِ من الامور الغامضة على علمآء الحيوان لصعوبة مراقبتهِ وتتبع احوالهِ في المواضع التي يعيش فيها ولذلك لم يكادوا يخرجون فيهِ عن حد القياس النظري. وقد ذهب بعضهم الى انهُ لما كان دمهُ بارداً لبرودة البيئة التي يعيش فيها وباعتبار ما خُصَّ بهِ من التركيب العُضويّ بحيث لا يفقد شيئاً من جواهر بنيتهِ بالتنفس لا بدّ ان يكون اطول حياةً من ذوات الدم الحارّ من الحيوان . ومن المعلوم ان دورة الدم في الزحافات والاسماك ابطأ منها في ذوات الثُدي والطير فيلزم عن ذلك ان تكون اعضآؤها الحيوية اضعف عملاً ولهذا فانها تستطيع ان تستغني عن

الطعام مدة اطول وقد شوهد في بعض الاماكن التي تربَّى فيها هذه الانواع حيّات من ذوات الجلاجل تبقى الى عشرين شهراً بدون غذاء

وقد امتحن فُورديس امر الغذاء في السمك فوضع بضع سمكاتٍ من النوع الاحمر المعروف في اناء كان يجدّد ماءهُ اولاً كل يوم ثم صار يجدّدهُ كل ثلاثة ايام فعاشت على ذلك مدة خمسة عشر شهراً . ثم زاد على ذلك بجعل يقطّر لها الماء وبعد افراغهِ في الاناء يسدّهُ بحيث لا يدخلهُ شيءٌ من الحييوينات المنتشرة في الهواء فلبثت عائشةً ووجد فوق ذلك ان اجسامها قد نمت وكبرت

ولاحظ غيرهُ ان من الاسماك ما يولد في غاية الصغر ثم يكون نموّهُ بمنتهى البُطء مع انهُ يكون من الانواع التي تبلغ حجماً كبيراً وقد راقب نموّ بعض هذه الاسماك الى مدة عشر سنوات فقدَّر انها على قياس ما بلغتهُ من النموّ في هذه السنوات لا تبلغ حجمها الطبيعي الا بعد مئة سنة . على ان من الناس من يذكر اسماكاً بعينها يزعم انها عاشت مئة سنة فما فوق الى بضع مئات منها اسماكٌ في فُونتَانبلُوّ زعموا انها عاصرت فرنسوا الاول في اوائل القرن السادس عشر واخرى في شانتِلّي قالوا ان عهدها من اوائل القرن السابع عشر وذكر بوفُون انهُ رأى في خندق قلعة پُون شرْتْرَين اسماكاً لا يقل عمرها عن مئة وخمسين سنة وروى غيرهُ انهُ في سنة ١٨٧٣ غيَّض بعض اهل سسّكس من انكلترا غديراً كبيراً كان في ارضهِ فوجد في اسفلهِ سمكةً ضخمة تضطرب ووجد في غضروف انفها حلقةً من الذهب قد نُقش عليها هذه الاحرف « W. C. et N. K. » وتحتها ما معناهُ

« تذكار عقد زواجنا في ١٩ مايو سنة ١٦٧٤ » فيكون عمر هذه السمكة اذ ذاك قرنين كاملين

الا ان كل ذلك لا تثبت صحتهُ ولا سيما وان السمك لا يكاد يموت موتاً طبيعياً لان كبيرهُ يأكل صغيرهُ على ما هو مشهور حتى يُضرب بهِ المثل في ذلك بخلاف سائر الحيوان وفضلاً عن ذلك فمن المعروف ان السمك الذي يُجعَل في الحياض والبِرَك اذا لم تهيأ لهُ وسائط التوليد لا يلبث ان ينقرض بأسرهِ في سنوات قلائل

ولعل افضل واسطة لمعرفة عمر السمك ما ذكرهُ بعض الباحثين في هذا الشأن قال ان حراشف السمك اي القشور الصلبة التي تغطي جلدهُ تنمو بان ينبت على اطرافها حلقات جديدة على حدّ ما يُرَى في اصداف الحيوانات الهلامية فتزداد في كل سنةٍ حلقةً ويكون بين كل حلقتين علامة ظاهرة. فاذا اريد ان يُختبَر عمر السمكة تؤخذ حرشفة عن احد جانبيها وتنظَّف بروح الخمر (السبيرتو) ثم تُمسَك بملقطٍ صغير وتُستشَفّ اي تُجعَل بين العين والنور حتى يُرَى ما يتخلل باطنها فاذا كان عمر السمكة سنةً واحدة ظهر في وسط الحرشفة نقطةٌ نيّرة فقط وان كان عمرها سنتين ظهر حول النقطة حلقةٌ او ثلاث سنين فحلقتان وهلمّ جرًّا بحيث ان عدد هذه الحلقات يزداد بمقدار زيادة عدد السنين الا انهُ لا يسهل دائماً تمييز الحلقات بالعين المجرَّدة ولا سيما اذا كانت الحراشف صغيرة فيمكن تمييزها بواسطة المِجهر

دلائل المآء

ذكرنا في بعض اجزآء السنة الثالثة فصلاً تحت هذا العنوان اوردنا فيهِ اشهر العلامات الدالّة على وجود المآء . وقد عثرنا في هذه الايام على كلام في هذا المعنى نشرتهُ جريدة الزراعة الفرنسوية عن مكاتبٍ لها في البلقان وقد ساح في تلك النواحي وفي نواحي الدانوب والقريم والقوقاس فوصف في ذلك طريقةً غريبةً يستخدمها الفلاحون من التتار والاعجام وغيرهم وهي لاتكاد تخطئ في الدلالة على وجود المآء كما يُستدَلّ عليهِ من وجود عدة آبار وينابيع في مجاهل تلك البلاد وصحاريها المحرقة حيث لا يرجو المسافر ان يجد قطرة من المآء

والطريقة المذكورة هي انهم اذا ارادوا البحث عن المآء في موضع من المواضع التي لادليل فيها من طبيعة الارض وشكلها يعمدون الى ذلك الموضع فيزيلون مايكون عليهِ من العشب وغيرهِ حتى ينكشف وجه التراب ثم يبسطون عليهِ جلداً من جلود الغنم يجعلون صوفهُ الى الاعلى ويضعون في وسطهِ بيضة دجاج حديثة العهد ويغطونها بانآء جديد مدهون وذلك في مسآء يومٍ جافّ الهوآء لاريح فيهِ بحيث يكون التراب خالياً من كل رطوبة . وفي الصباح على اثر طلوع الشمس يرفعون الانآء فاذا وجدوا ان البيضة والصوف مكتسيان بالندى علموا ان هناك مآء قريباً من سطح الارض واذا لبثت البيضة جافةً ونَدِيَ الصوف وحدهُ فالمآء ابعد واذا وُجدت البيضة والصوف جميعاً جافَّين علموا ان لامآء بالقرب من ذلك الموضع

قال ومن الغريب انهُ جآء شيء يقرب من ذلك في بعض مؤلفات ڤتروف الروماني من اهل القرن الاول قبل الميلاد فانهُ اشار للاستدلال على وجود المآء باستعمال الصوف وآناء من الخزف النيء او اناء من المعدن يُفرك بالزيت ويوضع عند مغيب الشمس في قعر حفرةٍ عمقها خمس اقدام ويغطى بالهشيم والتراب وعند الصباح يُكشَف عنهُ فان وُجد مندًّى بالرطوبة دلَّ على قرب المآء والافلا. الا ان الطريقة المستعملة عند اولئك الفلاحين اسهل واصحّ دلالةً

وجآء في سجلّ اعمال الجمعية الزراعية القوقاسية ذكر طريقةٍ اخرى هي من الطرائق المستعملة في البلاد الروسية وهي ان يُسحق ٦٠ غراماً من الكلس الحيّ ومثلها من الزنجار والكبريت ويُخلَط الجميع ويوضع هذا الخليط في انآء مدهون ويُجعَل فوقهُ ٢٠ غراماً من صوف غنم غير مغسول ويُسَدّ الانآء سدًّا محكماً بغطآء مدهون مثلهِ ثم يوزن الانآء بما فيهِ وزناً محرَّراً وفي وقتٍ تامّ الجفاف يُدَسّ في التراب الى عمق ٣٠ سنتيمتراً وبعد اربع وعشرين ساعة يُخرَج ويُمسح جيداً ويعاد وزنهُ فان جآء كالوزن الاول من غير زيادة عُلم انهُ لا مآء هناك والا كان المآء قريباً بقدر الزيادة في الوزن

دود الشمع

جآء في احدى المجلات العلمية الفرنسويه تحت هذا العنوان الفصل الآتي نرويهِ لغرابتهِ ولا نضمن صحتهُ . قالت

ذكر احد السيّاح ان في الهند شجرةً غريبة تشبه شجر الحنّآء اذا

راقبها الانسان في مدة الربيع رأى قشر اغصانها وساقها مكسوًّا بسِلَع او نواتئ بحجم الحِمَّص الصغير واذا قطع واحدةً من هذه السِلَع وجد فيها شيئاً اشبه بالدقيق ولكنهُ اذا انعم النظر يجد ان ذلك الدقيق مؤلفٌ من ربوات من بيوض حيوانٍ يسمى دود الشمع

فاذا انقضى شهر ابريل يشرع الصينيون في جنى هذه السِلَع ويجعلونها في اكياسٍ يسع الواحد منها نحو ٢٥٠ غراماً ويأتون بها الى سوق شياتِنغ فيبيعونها هناك فتُحَلّ تلك الاكياس وتُجمَع السلع كل عشرين منها في خريطةٍ صغيرة من الورق تُثقَب ثقوباً كثيرة ثم تعلَّق في اغصان شجرة مخصوصة من النوع المعروف بلسان العصافير وهو كثير في الموضع المذكور. فتنقف تلك البيوض في ضمن الخرائط وبعد ان يأتي عليها خمسة عشر يوماً يتكامل خلقها فتخرج من الثقوب المذكورةِ وتتسلق اغصان الشجرة فتغتذي من ورقها وبعد ذلك تبيض الاناث منها وتجمع بيوضها على شكل سِلَع ثم تجيء الذكور وتفرز على تلك السلع مادةً دهنية تكسو ساق الشجرة واغصانها طلاءً لامعاً متيناً وقايةً للبيض من العوارض وهذا الطلاء هو الشمع. فيأتي الصينيون وينزعونهُ بأن يكشطوا القشرة عن الساق والاغصان الغليظة بالسكاكين واما الاغصان الدقيقة فيقطعونها ويطرحون القشر والاغصان في المآء الحار فينحلّ الشمع ومتى برد المآء يرسب طبقةً ثخينةً في اسفلهِ ويقول العارفون ان هذا الشمع لا يُفرَق عن شمع النحل. انتهى

المتنبي ولؤلؤ امير حمص
والاب لويس شيخو

(١)

جآء في كتاب مجاني الادب الشهير لحضرة الاب لويس شيخو اليسوعي في ترجمة المتنبي (٦ : ٣١٢) ما يأتي

« وانما قيل لهُ المتنبي لانهُ ادعى النبوءَة في بادية السماوة وتبعهُ خلق كثير من بني كلب وغيرهم فخرج اليهِ لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيديَّة فأسرهُ وتفرّق اصحابهُ وحبسهُ طويلاً ثم استتابهُ واطلقهُ » انتهى

وجآء في القسم الثالث من شرح مجاني الادب (ص ١٣٥٨) في ترجمة لؤلؤ امير حمص المذكور ما يأتي

« (لؤلؤ امير حمص) كان مملوكاً ولاّهُ صاحب حلب الب ارسلان المعروف بالاخرس على امور دولتهِ ولما قُتل الب ارسلان بقي لؤلؤ هو المتحكم على البلاد . فلما كانت سنة ٥١٠ هـ (١١١٦ م)[١] سار لؤلؤ الى قلعة جعبر ليجتمع بسالم بن مالك العقيلي صاحب القلعة فوثب عليهِ جماعة من الاتراك وقتلوهُ بالنشاب » انتهى

ولا يخفى ان المؤلف قد غلط واخطأ الحفرة اذ خلط بين رجلَين متفقَين اسماً مختلفَين عصراً ودولةً ومحلَّ ولايةٍ . فالاول وهو المذكور في

(١) كذا في الاصل والصواب انهُ قتل سنة ٥١١ هـ (١١١٧ م) كما ذكر ابو الفدآء ونقل عنهُ ابن الوردي في تاريخهِ (المجلد ٢ : ٢٤)

ترجمة المتنبي (المجاني ٦ : ٣١٢) كان من عُمّال الدولة الاخشيدية في حمص واما الثاني وهو المذكور في الشرح فهو من مماليك الدولة السلجوقية كان مدبّراً لامور عاملها بحلب . ولايخفى الفرق بين الدولة الاخشيدية والدولة السلجوقيّة و بين امير حمص ومملوك صاحب حلب فكيف يزعم حضرة الاب انهما واحد !...

ومما يدحض زعمهُ هذا قولهُ عن المتنبي انهُ توفي سنة ٣٥٤ (المجاني ٦ : ٣١٢) واما لؤلؤ المذكور في الشرح فقال انهُ قُتل سنة ٥١٠ فبين عهد احد الرجلين والآخر برواية المؤلف المدقق نفسهِ مايزيد على قرن ونصف ... اما كيف جمع بينهما وارتأى ان احدهما قبض على الآخر وحبسهُ مع اختلاف عصرَيهما فربما يدعي انهُ « من سهو صفاف الحروف » ..... او انهُ اسند رأيهُ السديد هذا الى احد المؤرخين « كياقوت » مثلاً .... او غير ذلك من الدعاوي المنمّقة والاعذار الملفّقة . ولكن الحقيقة ان ذلك كان بآيةٍ من آياتهِ « الشيخوية » وعجائبهِ التاريخيّة التي ذكرنا بعضها في ما مرّ من اعداد الضياء وسنذكر غيرها في ما يأتي ان شاء الله

(٢)

ورُبَّ سائلٍ يقول فمن هو اذن لؤلؤ نائب الاخشيدية الذي اسر المتنبي وفي اي سنة كان ذلك

فاقول ان هذه الحادثة وردت في كتب كثيرة أمامي الآن منها تاريخ وَفَيات الاعيان لابن خلكان (١ : ٣٧) ومختصر تاريخ ابي الفداء المعروف بتاريخ ابن الوردي (١ : ٢٩١) وتاريخ سورية للعلّامة المطران يوسف

الدبس (٥ : ٤٢٦) وكتاب العَرف الطيّب لامامنا اليازجي رحمهُ الله (ص ٢ و٤٦) ومجلّة الهلال السنة الخامسة (ص ٣٢٣) والنشرة الاسبوعية (عدد ١٣٨٣) نقلاً عن كتاب روضة المناظر في اخبار الاوائل والاواخر وكلها لا تتكلم شيئاً عن لؤلؤ غير أسرهِ المتنبي ما عدا تاريخ سورية فقد جاء فيهِ عند ذكر هذه الحادثة : « فخرج اليهِ لؤلؤ امير حمص نائب الاخشيدية المار ذكرهُ » مع ان مؤلفهُ المفضال لم يذكر لؤلؤاً في غير هذا الموضع من كتابهِ وهو قد افرد للاخشيديين واخبارهم عدة صفحات من تاريخهِ (٥ : ٣٨٢ ـ ٣٩٠) نقلها عن اشهر المؤرخين . وبناءً عليهِ فيكون قولهُ السابق عن لؤلؤ « المار ذكرهُ » صادراً اما عن سهو واما عن غلط مطبعي بان يكون الاصل « نائب الاخشيد المار ذكرهُ » او « نائب الاخشيدية المار ذكرها »

على ان لي رأياً في مَن هو لؤلؤ المذكور أوردهُ وان لم اكن جازماً بصحتهِ وهو اني قرأتُ في المجلّد الثاني (صفحة ٦٢٧) من دائرة المعارف للعلاّمة المغفور لهُ بطرس البستاني في كلمة اخشيد ما يأتي

« ثم ودّع الاخشيدُ الخليفةَ المتقي ورجع الى بلادهِ حتى وصل الى دمشق وولى عليها الحسين بن لؤلؤ ثم نقلهُ بعد سنة واشهر الى نيابة حمص وولى على دمشق يانس المؤنسي ثم عاد الى مصر ودخلها في جمادى الاولى سنة ٣٣٣ هـ » انتهى . ومعلوم ان المتنبي وُلد سنة ٣٠٣ هـ (ابن خلكان ١ : ٣٧) وادعى النبوءة وأسره صاحب حمص في صباهُ كما يقول العلاّمة صاحب تاريخ سورية (٥ : ٤٢٦) . وقد مرّ هنا ان الحسين بن لؤلؤ تولى

نيابة الاخشيدية بحمص سنة ٣٣٣ ﻫ اي لما كان عمر المتنبي ٣٠ سنة . وبناء عليهِ فيمكننا ان نستنتج ان لؤلؤاً والد الحسين المذكور كان عاملاً من قبل الاخشيدية بحمص لما كان المتنبي في صباهُ وادّعى النبوءة فأسرهُ واعتقلهُ زماناً . اما السنة فلا يمكن تعيينها الا بالتقريب وربما كان ذلك نحو سنة ٣٢٠ هجرية والله اعلم

احد القرآء بحمص

كتاب المترادفات

(تتمة)

وفي صفحة ٣٢ « لحا الله اماً وَضَعَتْ بفلان ونُتِجَتْ بهِ » وهي عبارة الالفاظ الكتابية لكن الذي في كتب اللغة والمتعارَف في الاستعمال « وضعت الانثى حملها » ولا يقال وضعت بهِ ومثلهُ « نُتِجت » وهو من الافعال التي تتعدى الى مفعولين على ان هذا الثاني لا يقال في الآدميين

وفي صفحة ٣٣ « الصِنّ والصِنَّبْر . . والزمهرير والقمطرير البرد الشديد » وهي ايضاً عبارة الالفاظ الكتابية لكن المنصوص عليهِ ان « الصِنّ يومٌ من ايام برد العجوز ولم يُسمَع بمعنى البرد الشديد . « واما القمطرير » فلم يرد فيهِ شيء من هذا المعنى اصلاً لكن جاء في القاموس « يومٌ قُماطِر وقمطرير شديد » وزاد في لسان العرب « شرٌّ قماطر وقمطرير » اي شديدٌ ايضاً لم يحكوا فيهِ غير ذلك

وفي صفحة ٣٨ في مرادفات النوم والسهر « وتقول ايقظت فلاناً من سنتهِ ونبهتهُ من رقدتهِ اذا ذكّرتهُ من سهوٍ وغفلة » قلنا ولا يخفى ما في هذا

التفسير من الغرابة فان سياقة الفصل في النوم والسهر فما مدخل السهو والتذكرة . وما ننكر ان هذا محتملٌ من باب المجاز ولكن هذا يصلح ان يُذكر في كتب اللغة لا في كتاب المترادفات لانها تدور على الالفاظ المستعملة في المعنى الواحد لا على المعاني التي يتقلب عليها اللفظ الواحد

وفي صفحة ٣٩ « اسباب الدين والملك وعلائقهُ واواخِيهُ » وبالهامش « الأَخِيَّة عودٌ في حائط » الخ وضُبطت الاخية بالقصر على فَعِيلة فهي على هذه اللغة تجمع على أَخايا. مثل خليّة وخلايا لا على أواخيّ والصواب في مفرد الأواخيّ آخيّة بالمدّ

وفي صفحة ٤٥ « النكهة رائحة الفم طيبةً كانت او كريهة والخلوف رائحة فم الصائم والبَخَر للفم » كذا بالحرف وهذه العبارة الاخيرة لا معنى لها لان كل ما ذكر قبلها للفم فلا وجه لتخصيص رائحتهِ بالبَخَر فضلاً عن ان البَخَر ليس بمعنى مطلق رائحة الفم وانما هو بمعنى نتن ريح الفم . على ان هذا مقتضَبٌ من عبارة فقه اللغة الا ان هذه اللفظة وردت هناك في تركيبٍ يُفهَم منهُ المراد بها صريحاً لانها ذُكرت في سياقة روائح البدن الكريهة وهذا نصّ ما هناك « السَهَك رائحةٌ كريهة تجدها من الانسان اذا عرق البَخَر للفم الصُنان للابط الدَفَر لسائر البدن » فدلّت القرينة على ان البخر للفم بمنزلة السهك للعرق والصنان للابط وهلمّ جرًّا وهذه القرينة مفقودةٌ هنا كما ترى فعادت العبارة ضرباً من اللغو

وفي صفحة ٤٩ في تقسيم المشي « تقول حبا الرضيع ودَرَج الصبي . . وحجل الغراب ونَقَر العصفور » هكذا بالرآء المهملة في « نقر » وهو غلط

وصوابهُ « نَقَزَ » بالزاي . وانما اوقعهم في هذا ما رأوهُ من صنيع الاب شيخو (سامحهُ الله) في نسخة فقه اللغة المطبوعة بتصحيحهِ . وذلك انهُ جآء في فقه اللغة في هـذا الموضع ما نصُّهُ « نَقَزَ الظبي نزا التيس نَقَزَ العصفور . . . » فتصحفت على حضرة الاب القآء من « نقز الظبي » بالقاف فجعلهُ « نفز » ثم رأى بعدهُ « نقز العصفور » بالقاف ايضاً فصار الفعلان بلفظٍ واحدٍ فصحّف الزاي من الثاني وجعلهُ « نقر » بالرآء وهو الذي نقلهُ عنهُ مؤلفو الكتاب

قلنا ومن غريب ما يُذكر هنا ان هذه اللفظة مرّت بهِ اي بالاب المذكور قبل ذلك في الباب نفسهِ في قول صاحب فقـه اللغة « الرجل يسعى المرأة تمشي . . الغراب يحجل العصفور ينقز » ففعل هناك كما فعل هنا اي بدّل ينقز بينقر واثبت في اسفل الصفحة مانصهُ « وفي نسخةٍ ينقز (اي بالزاي) قال « وليس هو بهذا المعنى » . . . (بخ بخ) فهل سُمع قطُّ بما يشبه هذا الخبط العجيب . ومع ذلك فان هذا الاب هو هو استاذ « مفتش اول » اللغة العربية في القطر المصري وعنهُ ينقل وعلى كتبهِ يصحح فلا حول ولا

وفي صفحة ٥١ « اذا كان النقاب على طرف الشفة فهو لثام واذا كان على طرف الانف فهو لفام فان بلغ المحجر فهو النقاب فان دنا من العينين فهو الوصوصة » فمقتضاهُ ان « الوصوصة » اسمٌ للنقاب اذا دنا من العينين وليس كذلك وانما الوصوصة مصدر وصوصت المرأة اذا ادنت نقابها من عينيها وهو الذي يُفهم صريحاً من عبارة فقه اللغة

وفي صفحة ٥٢ « ورجمهُ بالحجارة ورشقهُ بالنبل وانشب بالنشّاب » وعبارة فقه اللغة « نَشَبهُ بالنشّاب » فروى الفعل بصيغة المجرد ونصّ على

كونهِ متعدياً . على ان كلا الفعلين لم يُحكَ في شيء من كتب اللغة بهذا المعنى بل صرّحوا بانهُ لا يُبنى من النشّاب فعلٌ . قال في لسان العرب « والنُشّاب النبل واحدتهُ نشابة والناشب ذو النشاب وقومٌ نَشّابة يرمون بالنُشّاب كل ذلك على النسب لانهُ لا فعل لهُ

وفي صفحة ٥٣ في اصوات الحيوانات « ويقال شحيح البغل » هكذا بحاءين وهذه ايضاً عن نسخة الاب شيخو والصواب « شحيج » بالجيم آخر الكلمة

وفي صفحة ٥٧ في قِطَع الاشيآء « والنُقرة من الفضة والبَذرة من الذهب » . قلنا اما « النُقرة » فهي من الفضة والذهب جميعاً وهي القطعة المذابة فتخصيصها بالفضة تحكُّم وما ننكر ان صاحب فقه اللغة خصصها كذلك ولكن الشيخ يقول انهُ عارض هذا الكتاب بامهات الكتب فهل رأى هذا التخصيص في شيء منها . وقولهُ – او قولهم – « والبدرة من الذهب» قال في لسان العرب « البدرة جلد السخلة اذا فُطم .. والبدرة كيسٌ فيهِ الف او عشرة آلاف سُميت ببدرة السخلة » وفي القاموس « كيسٌ فيهِ الف او عشرة آلاف درهم او سبعة آلاف دينار » ونحو ذلك في سائر « امهات الكتب » ولم يقل احدٌ ان البدرة القطعة من الذهب . والصحيح انها « النذرة » بالنون لا بالبآء قال في القاموس « والندرة القطعة من الذهب توجد في المعدن » ومثلهُ في لسان العرب ولكن تصحفت هذه الكلمة على الاب شيخو فاثبتها الشيخ من غير فحص ولا « عراض »

وفي صفحة ٦٢ في تقسيم السحب « فاذا كان ذا صوت شديد فهو

الصيِّب » هكذا بالبآء الموحَّدة آخرَهُ وصوابهُ « الصَيِّت » واما الصيِّب بالبآء فهو صفةٌ من صاب المطر يصوب اذا انصبَّ . وقد راجعنا نسخة الاب شيخو في هذا الموضع فوجدناهُ اثبت هذه اللفظة بالبآء ولكنهُ ذكر في اسفل الصفحة ما نصهُ « وفي روايةٍ الصيِّت وهو تصحيف» ..... كذا قال حضرة الاب وهو مثل قولهِ في « ينقز » مما مرّ قريباً الا ان ما هنا اغرب فان المصنف يقول صريحاً « فاذا كان ذا صوتٍ شديد فهو الصيِّت » ومعنى الصيِّت في اللغة ذو الصوت الشديد فكيف يكون تصحيفاً

وفي الصفحة نفسها « يقال رعدت السمآء واذا زاد صوتها يقال ارتجت » هكذا بغير ضبط فيحتمل ان يكون « أرتجت » من الإرتاج او « ارتجَّت » من الارتجاج وكلاهما غير صحيح والصواب « ارتجست » او « ارتجزت »

وفيها في ترتيب المطر « اذا دام مع سكون فهو الديمة والضرب فوقهُ والطلّ فوق الضرب» فمقتضاهُ ان الطل اغزر المطر مع انهُ جآء في اول هذا الفصل ما نصهُ « اول المطر رشّ وطشّ ثم طلّ ورذاذ ثم نضح ونضخ ثم هطل ثم وابل » فالطلّ على هذا من المطر الخفيف . قال في القاموس « الطلّ » المطر الضعيف او اخف المطر واضعفهُ ... » والذي في فقه اللغة « الهطل » لا الطلّ وهو كذلك في نسخة الاب شيخو ايضاً فالظاهر ان هذه من « عراضات » الشيخ « على امهات الكتب »

واعلم انّا لم نورد في هذا النقد الا كل ما يضيق عنهُ نطاق العذر وما يضرّ الاسترسال اليهِ بالناقل ولو شئنا التنبيه على كل ما مرّ بنا في هذا التأليف لامتدّ بنا نَفَس الكلام الى ما لا يحتملهُ حال هذه المجلة . لكن

لابدّ لنا قبل الختام ان نذكر امراً واحداً وهو ان هذا الكتاب انما وُضع للناشئة من تلامذة المدارس ليتلقّوا عنهُ ويقتبسوا من الفاظهِ في كتاباتهم لحريٌّ بما كان هذا الغرض منهُ ان لا يكون فيهِ الا الالفاظ اللائقة باستعمال هذا العصر فضلاً عن خلوّهِ مما لا يطابق قواعد الفصاحة المنصوص عليها في كتب البيان . ولكنك تجد فيـهِ مثل « الحقحقة » لسرعة السير و « الحَجْوَش » للطفل اذا ذهبت عنهُ حالة الرضاع و « الحزوّر » للصغير اذا قوي وادرك و « المقامق » للمتكلم من اقصى حلقهِ وثوبٌ « مزبرق » اذا كان مصبوغاً بلون الزبرقان وهو القمر و « العرّاص » للسحاب ذي الرعد والبرق وما اشبه ذلك من الالفاظ التي ينبو عنها السماع ويشمئزّ منها الذوق العصري

وربما جآء فيهِ غير ذلك كقولهم في صفحة ١٠ « اليَسَرة الفرجة بين اسرار الراحة وهي من علامات السخآء » فجآء في الكتاب علم اسرار الكفّ ايضاً وقد فاتهم ان يودعوهُ شيئاً من علم الرمل والتنجيم لتتثقّف عليهِ عقول الطلبة كما تتثقّف عليهِ السنتهم . . .

فهذا هو الكتاب الذي كتب الينا سعادة وكيل المعارف في مصر ان « فيهِ غنى للتلامذة » والذي زعم الشيخ « مفتش اول اللغـة العربية بالمدارس » انهُ « صحح مفرداتهِ اللغوية عراضاً على امهات الكتب » وانهُ « جآء بحمدهِ تعالى صحيح المبنى والمعنى » ثم تبجح بأن ذلك « قلما يوجد في اضرابهِ من الكتب المؤلفة في بابهِ » . . . . . ويا عجبا لمن يقول مثـل هذا القول وقد كان قُصاراه في التأليف أن رسم للاستاذين المسمَّين في اول هذا

النقد ان يسلخا بعض فصول الالفاظ الكتابية وفقه اللغة ومبلغ غلدهِ في التصحيح ان يعتمد على مثل الاب شيخو وينقل عنهُ لو احسن النقل . . . وهنا نمسك القلم عن المزيد والله المسؤول ان يعصم السنتنا من معرّة الخَطَل ولا يهجم بنا على موطنٍ نقف فيهِ موقف الخجل ولا حول ولا قوة الا بالله

طامّة الصرب

من نظم حضرة الشاعر العصريّ نقولا افندي رزق الله

لم أجدْ مثلهُ محبّاً أساءَ　　جلَبَ البغضَ حبُّهُ والعداءَ
ملكٌ كان للهوى عبدَ رقٍّ　　يتولاهُ فاعلاً ما شاءَ
جعلَ المُلكَ خاتماً او سواراً　　في يَدَيْ زوجةٍ لهُ حسناءَ
ملكت قلبهُ وعرشاً شقيّاً　　لم يجد بين اهلهِ أكفاءَ
خادمٌ رأسُها تحمّلَ تاجاً　　فهوى التاجُ عزةً وإباءَ
وارتفاعُ الوضيع من غير حقٍّ　　لَهُوَ الرُزءُ يجلب الارزاءَ
ثم قامت تريد ان يرث التا　　جَ اخوها تحكماً واعتداءَ
فما في البلاد حزبٌ أنوفٌ　　لم يشأ أن يسوّدَ الخُدَماءَ
وأتوا قصرَهُ وقد بسط الليلُ　　م عليهِ سحابةً سوداءَ
وسكونُ الدجى يقولُ هلمّوا　　لا تخافوا في الارض من رقباءَ
غفلتْ عنكمُ العيونُ لأني　　قد جعلتُ الكرى عليها غِشاءَ
فلقوهُ وقد خلا بالتي جرّ　　م هواها عليهِ ذاك البلاءَ
قال صدري اليكمُ فاقتلوني　　ودعوني اموت عنها فداءَ

فاستخفوا بهِ وساموهُ أمرين م طلاقاً لها او استعفآء
أو فهم جاعلوهُ عِبرةَ بقوم حكّموا في السياسة الاهوآء
فأبى ان يذلّ من بعد عزٍّ وابى الحبُّ منهُ إلاّ وفآء
والهوى يوهن العزائمَ حتى ينبذ المجدَ أهلهُ والعلآء
فقضى العاشقان قتلاً ومن لم يرحم الناس لم يجد رُحمآء

اسئلة واجوبتها

دوما (لبنان) ـ قرأت في بعض مطالعاتي هذه العبارة « ومن اراد ان ينال من المغناطيس شيئاً فحسبهُ ان يُدخِل في النار حديداً محمّى فانهُ يستحيل الى مغناطيس بجميع خواصهِ » . وقد اشكل عليَّ فهم هذا فارجو ان تفيدوا عنهُ بعبارة مفهومة وان تكتبوا لنا عن المغناطيس شيئاً يسهل فهمهُ كما هو شأنكم في كل المواضيع

داود بشير

الجواب ـ العبارة كما ترونها لا تخلو من اضطرابٍ وابهام ولكن مهما يكن فان اكساب الحديد الخواص المغناطيسية لا يكون بواسطة الاحماء بل الامر على العكس فقد وُجد بالاختبار ان الحديد الممغنط اذا أُحمي الى ٧٧٠ فقد مغناطيسيتهُ وسنفرد لهذا البحث فصلاً مخصوصاً فيما سيجيء من اجزآء هذه المجلة ان شآء الله

الاسكندرية ـ اختلف الكتاب في رسم لفظة « كيرللس » فنهم من

يزيد عليها واواً ومنهم من يحذف احدى اللامين فما هو الاصح في كتابتها

نصر الله سمعان

الجواب ـ اما حذف احدى اللامين فواجب لانهُ يستغنى عنها بالتشديد . واما زيادة الواو فالاظهر انهم اصطلحوا عليها في بعض الاسمآء دفعاً للالتباس وذلك في نحو اغابيوس و بطلميوس فانها لو حُذفت ربما قرأ القارئ اغابِيْس و بطلمِيْس بسكون اليآء على حدّ ما يقرأ ارسطوطاليس مثلاً . ثم تنوسي هذا الاصل فصاروا يزيدونها في كل اسمٍ كان على هذا النحو حتى انهم ربما اعتدّوا بها في اللفظ ايضاً كما في بيت المتنبي

لما وجدتُ دوآء دآئي عندها   هانت عليّ صفات جالينوسا

على ان من الاسمآء ما لم تؤلَف زيادتها فيهِ مطلقاً مثل بطرس و بولس وقبرس وربما اهملوها حيث تجب زيادتها كما في لفظ جرجيس وهم يلفظون بهِ على وزن قنديل . وربما حذفوا اليآء قبلها ايضاً كما في قولهِ يامارسَرْجِسَ لا نريد قتالا . وعلى الجملة فانكم لا تكادون تجدون للاسمآء الاعجمية ضابطاً عند العرب سوآء كان في اللفظ او في الكتابة احياناً والله اعلم

دوما ـ هل وُضعت الحركات للحروف الهجآئية العربية حين وضع الحروف ومن رتبها على الصورة المعروفة الآن   حنا الخوري الياس

الجواب ـ تجدون الكلام على هذه المسئلة في مجلد السنة الثالثة من هذه المجلة صفحة ٦٩ وما بعدها

فكاهات

عثرة الامل (١)

في يومٍ راقت سمآؤهُ ورق هوآؤهُ كانت باخرة انكليزية تشق عباب البحر الهندي عائدةً من استراليا الى انكلترا تقلّ عددًا ليس بيسير من المسافرين وكمية وافرة من البضائع والسلع التجارية . وكان بين ركابها فتاةٌ في ربيع الحياة قد افرغ الله عليها حلة الجمال ووهب لعينيها كمال السلطان على النفوس . وكانت هذه الفتاة تدعى فلورندا وهي ابنةٌ وحيدة لرجلٍ يدعى وليم نورث وهو صاحب مصرفٍ كبير في مدينة لندن . فلما اكملت فلورندا دروسها اشار الاطبآء على والديها ان يرسلاها الى بلاد اخرى تروّح فيها النفس من عنآء الدرس فأرسلاها الى خالةٍ لها في استراليا فقضت عندها بضعة اشهر اكسبتها صحةً ونشاطًا وزادت في جمال خلقها وتكامل قامتها ونضارة شبابها . ولما ازف موعد رجوعها الى الوطن رافقتها خالتها الى ظهر الباخرة مودعةً ثم جعلت تبحث لها عن رفيق تعرّفها بهِ ليعتني بها عند الحاجة ويسليها في اثنآء تلك السفرة الطويلة . ورأت الخالة بين المسافرين فتىً تعرفهُ يسمى ريشرد فقالت لفلورندا تعالي يا عزيزتي اعرّفكِ بهذا الفتى لتستعيني بمعاشرتهِ على هذه السفرة المملة . فقالت فلورندا لا حاجة بي الى عشير فان لديَّ من الكتب ما يشغلني كل هذه المدة فضلاً عن المناظر التي سنراها في طريقنا والتي احبها جدًا . ولم تلح عليها خالتها فتركتها وشأنها ثم ذهبت فقابلت ريشرد وعلمت منهُ انهُ يقصد انكلترا ايضًا فودعتهُ ولم تذكر لهُ شيئًا عن فلورندا ولم يتطفل هو بالسؤال

وكان الجوّ رائقـًا والبحر هادئًا فرفعت الباخرة مرساتها واخذت تنساب على سطح المياه انسياب الافعى في الصحرآء المقفرة وما مضت مدة طويلة حتى غابت

(١) بقلم نسيب افندي المشعلاني

الارض عن نظر المسافرين واحاطت بهم المياه من كل جانب . اما فلورندا فانها جلست على كرسي فوق ظهر الباخرة وكانت تراقب تارةً الخط الابيض الذي ترسمهُ الباخرة وراءها وطورًا الاسماك التي ترفع رؤوسها فوق المياه لمشاهدة الباخرة او لتتوقع شيئًا من الزاد الذي كان المسافرون يلقونهُ اليها . وقضت فلورندا اليوم الاول والثاني مكتفية بهذه الحالة مسرورة بها ولكنها خطر لها من باب التطال ان تبحث بنظرها عن الفتى ريشرد الذي كانت عمتها ترغب ان تعرّفها بهِ فوجدتهُ الى جانب الباخرة الآخر قد اتكأ على السلم الخشبي غائصًا في بحار تأملاتهِ فعجبت كيف لم يجتهد كبقية المسافرين في الاقتراب منها والتفرس في جمالها . وكان في تجنبهِ هذا ما ولّد فيها رغبةً عظيمة في معرفة الشاب ولكنها قضت اياماً لم تفز منهُ بنظرة الاّ وقت تناول الطعام واتفق انهُ كان يجلس بازآئها فكانت اذا رفعت كأس الشراب الى فمها تتفرس فيهِ من خلال زجاج الكوب فرأت فيهِ جمالاً بارعًا ورجولية وآنست على وجههِ دلائل الهمة والصدق والشجاعة فأُعجبت بهِ اعجابًا شديدًا وندمت على عدم اذعانها لمشورة خالتها وقبولها التعرف بهذا الصديق والرفيق اللطيف

وبقيت الحالة على ما وصفنا بضعة ايام الى ان بلغت الباخرة منتهى البحر الهندي الكبير وكان الجوّ قد مال الى التغير فنهض الربان صباحًا ورأى الافق مغطى بغيوم سودآء تحجب نور الشمس واستمر الامر على ذلك طول النهار ولم يأتِ المسآء حتى اضطرب البحر واصاب اكثر المسافرين الدوار فانطرحوا على اسرّتهم وساد السكوت في جميع انحآء الباخرة التي كانت تصارع الامواج وتخترق حجاب الظلمة

وفي الهزيع الاول من الليل ثارت عاصفة شديدة واشتد هياج البحر فكانت الامواج تلعب بالباخرة كما يلعب الطفل بالكرة . فاستولى على الركاب الهلع وسأل بعضهم الربان فقال ان الحالة لا تخلو من خطر ونصح للركاب ان يلزموا غرفهم وان يبتهلوا الى الله لينقذهم من خطر اعظم . وبعد مضي عدة ساعات خالها الجميع اشهرًا نزل الربان من موقفهِ وهو يفرك يديهِ علامة الحيرة والاضطراب وقال لقد قد تهنا عن طريقنا فلا ادري اين نحن الآن ويغلب على ظني ان لا امل لنا في

النجاة . فانتشرت هذه الكلمات بين الركاب بسرعة البرق وارتفع صراخهم وهلعت قلوبهم فباتوا حيارى ينظر الواحد الى الآخر نظرة اليأس وقد ايقنوا ان ما بيدهم حيلة . ولما رأى الربان اليأس المستحوذ على الجميع كلمهم بصوتٍ هادئ وقال لا انكر ايها الاخوان اننا في اشد الخطر الآن ولكن من الممكن ان تهدأ العاصفة ونعود الى الامن السابق ومن المحتمل ايضاً وقد اضعنا طريقنا ان تلتطم الباخرة ببعض الصخور فيُقضى علينا . وعلى كلٍ لا يليق بنا ان نيأس ونسلم انفسنا للموت طوعاً ففي الباخرة زورقان معدّان لوقت الضرورة فاذا حدث لا سمح الله ما نخشاهُ ينجو عليهما من قُدّرت لهُ النجاة ومن كان قادرًا على السباحة فلا يخاف لاننا على مقربة من بر . وكان في كلام الربان ما سكن شيئًا من جأش سامعيهِ واهتم الجميع بالاستعداد وجمع ما لا يمكن تركهُ . وانهم لكذلك اذ سمعوا صوتًا كقصف الرعد وشعروا باهتزاز الباخرة فانها كانت قد اصطدمت بصخر فتح جانبها فدخلتها المياه واخذت في الغرق . واسرعت فلورندا لركوب احد الزورقين ولكنها ما بلغت جانب الباخرة حتى رأتهما قد ابتعدا جدًّا وفيهما ملؤهما من المسافرين فاوشك ان يغمى عليها ولكنها تجلدت وعادت الى غرفتها على غير هدى . وحانت منها التفاتة فرأت ريشرد قد نزع ما يعوقهُ من ثيابهِ وتمنطق بمنطقةٍ جلدية ضخمة وهو يستعدّ للوثوب الى البحر فلما وقع نظرهُ على فلورندا وقف فجأةً كأنهُ اصيب بصاعقة وتفرس فيها مليًّا بحزنٍ شديد فكان منظرهُ منظر المحكوم عليهِ بالاعدام اذا وقف فوق النطع . وكانت فلورندا تنظر اليهِ نظرًا خاليًا ثم وثبت وثبةً واحدة فجثت امامهُ وقالت بصوتٍ ذليل ضعيف لم اتمكن من ركوب الزورق ولا اعرف السباحة فهل في طاقتك ان تخلصني . فلبث ريشرد حينًا كالصنم لا يدل على كونهِ حيًّا سوى تنقل نظرهِ من الملك الجاثي امامهُ الى المنطقة المتمنطق بها . وكانت الباخرة تغوص بسرعة في المياه فشعر بها وكانهُ هب من رقاد طويل فصمم للحال وفي اقل من دقيقةٍ حلّ ابزيم المنطقة وطرحها بعيدًا عنهُ ثم طوّق بذراعيهِ جسم الفتاة فرفعها عن الارض ووثب بها الى البحر ولم يكد يبتعد بضع اذرع حتى غمرت المياه الباخرة واختفى اثرها . اما فلورندا فانها بعد طلبها اليه

ان يخلصها كانت قد فقدت الشعور فلم تعد تعي شيئاً . وكان ريشرد يقاوم بحمله قوة البحار وكلما خارت قواهُ نظر الى ذلك الوجه اللطيف فتتجدد عزيمتهُ وما زال يكافح الانوآء ويغالب الامواج حتى بلغ صخرًا فتسنمهُ والقى عليهِ حملهُ . وكان الصخر المذكور يعلو بضع اقدام عن سطح البحر فنقل فلورندا الى اعلاهُ وجلس يحرسها ويفرك يديها ورجليها ليعيدها الى الحياة

ولما افاقت فلورندا ووجدت ريشرد بجانبها قرأت في وجههِ انهما قد بلغا السلامة فأخذت يدهُ بلطف ثم شخصت ببصرها الى السمآء وتنهدت ورسمت على تلك اليد قبلةً اضطربت لها جميع اعضآء ريشرد فتساقطت الدموع من عينيهِ . ولبث الاثنان مدةً عادا فيها الى راحتهما الطبيعية لولا خوفهما من المركز الحرج الذي كانا فيهِ وبقيةٌ من اليأس فيما لو تُركا على ذلك الصخر المنفرد . وعرّفت فلورندا ريشرد بنفسها واخبرها هو ايضاً انهُ فقد والديهِ في انكلترا ولما رأى نفسهُ يتيماً فقيرًا سافر الى استراليا وكان يعمل في مناجمها مدة ثماني سنوات فأحرز من السبائك الذهبية ما تعادل قيمتهُ خمسة آلاف ليرة استرلينية فقنع بما قسمهُ لهُ الله واخذ غنيمتهُ ليعود الى وطنهِ فيتاجر بها ويقضي بقية حياتهِ في مسقط رأسهِ . فلما ادركهُ الخطر في الباخرة اخذ السبائك المذكورة ولفها في منطقتهِ وتحزّم بها آملاً ان يتمكن من السباحة بها وتخليصها ولكنهُ لما رأى فلورندا وحاجتها الشديدة الى المساعدة فضل انقاذها على ما قضى السنوات الطوال في جمعهِ فرمى بالمنطقة كما ذكرنا وانقذ الفتاة . وشعرت فلورندا بعظم منة هذا الفتى فنذرت في نفسها ان بلغت وطنها سالمةً لتكافئنَّهُ بضعفي ما فقد في سبيل انقاذها

وقدر الله للفريقين النجاة فهدأت العاصفة وسكن اضطراب البحر شيئاً فشيئاً حتى عاد الى سكونهِ الاول . واتفق مرور باخرة من الشركة الشرقية فرآها ريشرد عن بُعد وجعل ينادي بأعلى صوتهِ ويلوح بذراعيهِ مستغيثاً فأرسل الربان زورقاً اقلهُ وفلورندا الى الباخرة . ولما علم الربان قصتهما قدم لهما جميع احتياجاتهما من ملبوس ومأكول وعناية تامة واخبرهما انهُ قاصد لندن وسيأخذهما بصحبتهِ

وارسلت فلورندا خبرًا بالبرق الى والدها من اول فرصة وقفت فيها الباخرة وكان قد وصل الى انكلترا خبر غرق الباخرة ولبث المستر نورث في أعظم اليأس والحزن الى ان وصلتهُ رسالة ابنتهِ لحمد الله واستبشر بسلامتها واخذ يترقب يوميًا وصولها الى لندن وما صدق ان وقعت عينهُ على ابنتهِ حتى ضمها بذراعيهِ وغطى وجهها بقبلاتهِ الابوية ثم استدعى عربةً ليركباها الى البيت . وكان ريشرد قد تنحى الى جانب بعد ما رأى فلورندا في امانٍ مع والدها اما هي فجعلت تبحث عنهُ ثم قالت لابيها ان السبب في خلاصي وحفظ حياتي فتًى كنت لولاهُ الآن طعامًا للاسماك وقد نذرت ان وصلت الى وطني سالمة ان اكافئهُ على ما خسرهُ في سبيل انقاذي فارغب ان نُصحبهُ معنا الى البيت لانهُ لا اهل لهُ هنا وهو صفر اليدين . فقال المستر نورث وقد سرَّ جدًّا بما ابدتهُ ابنتهُ من المروءة وذكر المعروف نعم لا بدَّ من مكافأتهِ ولو اعطيتهُ جميع ما املك لما نالــ الجزآء الذي يستحقهُ فهيا بنا نبحث عنهُ . ولما التقيا بريشرد عرَّفت فلورندا والدها بهِ فاخذهُ هذا بين ذراعيهِ كما فعل بابنتهِ وافاض في شكرهِ والثنآء عليهِ وألزما ريشرد فاخذاهُ معهما الى البيت حيث قصَّت فلورندا على والدها تفصيل الخبر وهو يسمع كلامها والدموع تتساقط على وجنتيهِ ممتزجة من عبرات الحزن والسرور . ولما انهت حديثها قال المستر نورث مخاطبًا ريشرد وكم كان مقدار ما جمعتهُ من الذهب . قال كان معي ما تعادل قيمتهُ خمسة آلاف ليرة . فقال المستر نورث بتبسم ان هذا المبلغ غير كافٍ لتوطيد سعادة فتًى نظيرك واما وقد وجبت علينا مكافأة معروفك فاني اقدم لك خمسة آلاف ليرة عوض ما فقدت في سبيل انقاذ ابنتي وخمسة آلاف أخرى جزآء يسيرًا لانقاذك اياها . ولما قال هذا اخرج من جيبهِ حوالةً وهم ان يكتب عليها كما قال فاحمرَّ وجه ريشرد وابرقت عيناهُ ووثب فقبض على يد المستر نورث وقال اياك ان تفعل يا سيدي فانك تقلّل اعتبارك في عينيَّ . فتبادل نورث وابنتهُ نظرة الدهشة والاستغراب ثم قال لهُ ولماذا تمنعني ايها الفتى . قال لاني وان اصبحت لا املك شروى نقير فلي من شرف نفسي كنز لا يفنى ولا احب ان الطخ شرف اسمي بوصمة العار اذ يقال اني أخذت أجرة

جزآء الواجب المنتظر اتمامهُ من كل من يدعى انسانًا . فقال نورث ولكن لا اقل من ان تسمح لي بتعويض الذي فقدتهُ . قال لا ولا هذا ايضًا فالذي اعطاني اخذ مني ولا علاقة لك بهذا الامر . وحصلت مجادلة طويلة تغلب فيها ريشرد على نورث وفلورندا فلم يقبل منهما شيئًا ولكنهما اجبراهُ اخيرًا على قبول خدمة في مصرف نورث وعين لهُ نورث اجرة وافرة وخصص لهُ غرفةً في قصرهِ وكان يحسبهُ كابنهِ

وفعلت مروءة ريشرد وكرم نفسهِ ورقة عواطفهِ في نفس فلورندا كما فعل جمالها ولطفها ونظراتها في فؤادهِ فوقع الاثنان في شرك الهوى ولا يدري احدهما من الآخر شيئًا . وكان في اجتماعها يوميًا ما يذكي تلك النار المشتعلة في صدريهما فأصبحا كأنهما روحٌ واحدة في جسمين وزادتهما الايام تعمقًا في الحب فباح بهِ بعضهما لبعضٍ واقسم لها ريشرد على صدق الوداد واقسمت لهُ انها لن تكون لسواهُ وانهُ احق البشر بجسمٍ وروحٍ انتشلهما من الموت فأصبحا ملكهُ بدون منازع

وبقي حبهما هذا مستورًا عن والد فلورندا عملاً بارادة ريشرد لانهُ كان يود ان لا يفاتحهُ بهذا الامر قبل ان يتمكن من جمع المبلغ الكافي من المال بجدهِ ونشاطهِ فلا يحتاج الى مساعدة مالية منهُ . ومضت الايام والاشهر على هذة الحالة والحبيبان في سعادةٍ وهنـآء يفكران في رسم خطة مستقبلهما وقد نسيا ما قيل ان الانسان في التفكير والله في التدبير

وفي ذات يومٍ جآء المستر نورث الى بيتهِ مقطب الحاجبين كاسف الوجه وقد ارتسمت على محياهُ دلائل القلق والاضطراب العظيم فاستدعى فلورندا الى غرفتهِ وبعد ان اجلسها بازآئهِ صمت هنيهةً وهو يجمع افكارهُ الشاردة ثم تفرس في وجهها مليًا. وقال قد انتقيت لكِ زوجًا يا فلورندا واودّ ان تقترني بهِ في مدة وجيزة . فتراجعت فلورندا كأن حيةً لدغتها وصار وجهها بلون القرمز ثم اخذ الدم يتقهقر من وجنتيها فتركها مصبوغتين باصفرار الموت . وكان والدها يراقب ذلك فسقطت من عينيهِ دمعتان مسحهما بمنديلهِ حالاً . وبعد قليلٍ قالت فلورندا وهي تتلعثم ولكن يا أبتِ من يكون هذا الزوج . قال هو غير ريشرد . وكانت هذه الكلمة الضربة القاضية

على ما بقي من آمال المسكينة فسقطت عن كرسيها الى الارض امام والدها . فقال انني غير جاهل يا فلورندا ما بينكِ وبين ريشرد من الحب الطاهر وان كنتما قد حاولتما ان تخفياهُ عني وقد سرَّني هذا الحب فاني لا أتوقع لكِ زوجاً اكمل منهُ خلقاً وخُلقاً ولا اراهُ يستحق اقل منكِ زوجةً اصبحت ملكهُ مذ انتشلها من مخالب الموت . وكنت اكون اسعد البشر لو تم هذا القران غير ان آفةً عظيمة الخطر تتهدد حياتي وشرفي يا فلورندا ولا سبيل الى اتقآئها الا بفصم عرى الحب بينكِ وبين ريشرد واقترانكِ بالشخص الذي سأخبركِ عنهُ . ولكنني معاذ الله ان اضطركِ الى قبولهِ قهرًا فانهُ أيسر لديَّ ان افقد شرفي وحياتي من ان يقال اني اجبرت ابنتي على الاقتران بشخصٍ رغماً عنها . فاسمعي قصتي وما يوحيهِ اليكِ قلبكِ فافعليهِ

ثم اخذ بيد ابنتهِ فأقامها واجلسها على ركبتهِ وجعل يقص عليها حديثهُ والعبرات تقطع صوتهُ فقال

اقفت على نفسي يتيماً ولم اكن كسلاً فتلقيت بعض العلوم في المدارس المجانية وكنت اعمل ليلاً بما يقوم باحتياجات معيشتي، ثم خدمت بوظيفة كاتب في محل وليليام برات الشهير وساعدني القدر فتقدمت في مركزي واصبحت مع حداثة سني وكيل المحل المذكور . وكان للمستر برات ولدٌ وحيد يدعى ألفرد كان مسرفاً مبذرًا وكان والدهُ يمنع عنهُ النقود فسبب ذلك جفآءً بين الاب وابنهِ افضى الى منازعةٍ شديدة فجحد الولد اباهُ ولعن الاب ولدهُ وطردهُ فذهب الفرد ساخطاً ناقماً وسافر الى حيث لم يعلم احد . وكان بعد اختفآئهِ هذا ان المستر برات وقع في حزن شديد ويأس مفرط وبحث طويلاً عن ابنهِ فلم يقف لهُ على اثر واخذت صحتهُ في التأخر فمرض مرضهُ الاخير الذي مات فيهِ . ولم يكن للمستر برات وارث فاستدعاني الى سرير موتهِ وسلمني وصاتهُ الاخيرة وقد اودع منها نسخة في ادارة التسجيل ومآلها انهُ تنازل عن جميع ما يملكهُ لي وفوَّض اليَّ ان ادير جميع اشغالهِ بشرط ان لا اتناول من المال الا ما يلزم لنفقاتي وابقى كذلك الى ان يتبين ما يكون من امر ابنهِ الفرد فان عاد الى انكلترا وجب عليَّ ان اسلمهُ تركة ابيهِ بتمامها وحينئذٍ فان شآء ان يبقيني كما

كنت في ايام ابيهِ والاّ فانهُ يعطيني الف ليرة فقط نظير مكافأة

ومات المستر برات فصفيت اشغال المحل ثم اعدت حركتهُ تحت اسمي الخاص الى اليوم واصبحت في الحالة التي ترينني بها وكانت تمر السنون ولا اسمع شيئاً عن الفرد فتأكد لي انهُ لن يعود وتوسعت في الاشغال فبلغت هذا المركز والاسم العظيم. وبينما كنت امس في المحل قيل لي ان رجلاً بالباب يطلب مواجهتي فاذنت لهُ ولما دخل عرّفني بنفسهِ انهُ هو الفرد وانهُ سافر الى اميركا الجنوبية وساعدتهُ التقادير فجمع مالاً وتاجر بهِ وربح ارباحاً عظيمة واصبح من اصحاب الملايين ثم دعاهُ الشوق الى وطنهِ فعاد وسأل عن والدهِ فعرف انهُ توفي وقصد ادارة التسجيل فاطلع على صورة الوصية فجآء يطالبني بما اودع لهُ عندي. ولا تسألي يا فلورندا عن حالتي بعد سماع هذا الكلام ولا سيما وقد اخبرني الفرد انهُ يستغني عني في العمل فرأيت ان ما شيدتهُ من الاسم والمركز الحسن سيهدم فجأةً الى الارض واصبح مضغةً في افواه الناس وخطر لي للحال فكرٌ صممت عليهِ وهو ان انتحر فاخلص من مشاهدة الشقآء الذي سأصل اليهِ. وكأن الفرد قد قرأ فكري فتبسم وقال لي لا تيأس يا نورث فلديَّ واسطة لبقآئك على ما انت عليهِ فعاد اليَّ الامل ونظرت اليهِ متوقعاً خروج الكلام من فمهِ. فقال ان عندي من المال ما لا احتاج معهُ الى هذه التركة وقد رأيت بعد وصولي الى لندن فتاةً سبتني بجمالها واسرت قلبي من اول نظرة فسألت عنها فقيل لي انها ابنتك فلورندا فاذا شئت ان تزوجني اياها تركتك وشأنك في التركة واعطيتك وصلاً باستلام جميع ما اودعهُ لي أبي عندك. وتخيل امامي للحال ما رأيتهُ من تعلقكِ بريشرد وتعلقهِ بكِ فرأيت ان طلبهُ هذا من المحال فعدت الى يأسي الاول ولحظ الفرد ترددي في الجواب فقال لي افتكر يا مستر نورث في الامر وسأزورك غداً لاخذ جوابك النهآئي. ثم خرج وتركني اخبط في اودية الحيرة وهآءنذا كفاقد العقل لا ادري ماذا افعل وقد اطلعتكِ على الامر لتساعديني بفكركِ الصائب

اما فلورندا فكانت تسمع الكلام وتجهد نفسها في الافتكار وصمتت مدةً غرقت في اثنآئها في شبه سبات ثم رفعت رأسها وتنهدت وقالت معاذ الله ان تفقد شرفك

وحياتك يا ابتِ او ان يصيبك ادنى سوء . نعم انني احب ريشرد ويحبني فنحن كاخوين ولا يمنع اقتراني دوام هذه المحبة الاخوية بيننا فعد الفرد بقبولي اياهُ متى شئت . ولما قالت هذا نهضت تريد الخروج فرافقها والدها الى باب الغرفة والدموع تنسكب من عينيهِ ثم قبلها في رأسها وقال ليباركك الله يا ابنتي

وتوجهت فلورندا الى غرفتها توًّا فالقت بنفسها على سريرها واستخرطت في البكآء . وفي اليوم الثاني عاد الفرد فاجابهُ نورث بالايجاب وجآء بهِ الى البيت حيث عرّفهُ بابنتهِ . وطلبت فلورندا خلوةً بالفرد فكلمتهُ مليًّا وتذللت لهُ ان يشرط على ابيها غير اقترانها بهِ فلم يذعن ورأت فيهِ تصلب الرأي وانهُ من المستحيل تحويلهُ عن قصدهِ فوعدتهُ بالاقتران واتفقا ان يكون اكليلهما في نهاية ذلك الاسبوع وان يسلم الصك المشار اليهِ الى والدها قبل اكليلهما بساعة

ورأى ريشرد حركة غير مألوفة في البيت فقلق جدًّا وسأل فلورندا فقالت لهُ سأطلعك على ذلك في وقتٍ آخر وان بلغك خبر اقتراني بالفرد فاياك ان تظن انني خنتك او حنثت بقسمي لك فانا لك ملكٌ شرعيٌّ . وكان ريشرد يثق بفلورندا ثقةً تامة فاعمى كلامها عينيهِ عن جميع ما كان يجري امامهُ

وفي اليوم المعين لزفاف فلورندا حضر ألفرد الى بيت نورث وسرّهُ ما رآهُ من الاستعداد ثم قابل فلورندا فوجدها مرتديةً اللباس الابيض وعلى صدرها باقة من زهر النارنج . فاخرج من جيبهِ بطاقة وسلمها الى نورث فقرأها واذا بها الوصل المعهود يقرّ فيهِ الفرد انهُ استلم جميع ما تركهُ لهُ ابوهُ فتبسم نورث وتنهدت فلورندا . ولما ازفت ساعة الذهاب الى المعبد لعقد الاكليل دخلت فلورندا غرفتها وطلبت ريشرد فأُدخل اليها فاجلستهُ فلورندا بجانبها واخبرتهُ بقصة والدها ثم قالت ولما لم يكن بدٌّ من اجابة الفرد الى طلبهِ صيانةً لشرف والدي وحياتهِ فقد اعلنت لهُ رضايَ بالاقتران بهِ ولكنني اعلم جيدًا انني لست لنفسي بل لك وتحت مطلق تصرفك . اما الآن وقد استلم ابي الصك وأمن الخراب فلن اتخذ الفرد زوجًا لي وليس في الامكان تركهُ فانهُ يعود الى المطالبة بحقوقهِ واراني في موقف حرج لا أعلم كيف اتخلص منهُ .

ولكن لديَّ طريقة واحدة وهي تأجيل زواجي بك الى زمن آخر حين لا يعارضنا معارض فهل توافقني على الانتظار . وكانت زفرات ريشرد تحرق صدرهُ فقال نعم انتظر ما شئتِ وانا بين يديكِ . قالت انني كنت ارجو منك ذلك . ثم طوقت عنقهُ بذراعيها وتعانق الاثنان مليًّا وهي تقول بصوت خافتٍ الى الملتقى أيها الحبيب. وبعد قليل ابتعدت عنهُ فاخذت زجاجة كانت مخفاة في درج خزانتها فسكبت منها قليلاً في كأس من المآء وتجرعتهُ دفعة واحدة وقالت قد قضي الامر . فقال ريشرد واي امر تعنين . قالت قد تجرعت سماً يميتني قبل عقد الاكليل وبهذا اكون قد انقذت والدي وبقيت عذرآء بانتظارك الى ان تتبعني . وادرك ريشرد في تلك اللحظة ما خفي عنهُ حتى تلك الساعة ولكن بعد فوات الوقت فصاح من قلب جريح اواه يا فلورندا انكِ لو ابقيتِ على حياتكِ لكنت اكتفي بمشاهدتكِ فقط . ثم ارتجف شديدًا وكانت فلورندا تراقبهُ بعين مائلةٍ الى الذبول فوثب الى الزجاجة وافرغ باقيها في فمه قبل ان تتمكن فلورندا من منعهِ ورجع اليها فضمها الى صدرهِ ووضع فمهُ على شفتيها كأنهُ يود ان يستخرج من فيها ما شربت

وفي تلك الدقيقة قرع باب الغرفة وسمعت فلورندا صوت والدها ينبهها الى وجوب المسير فتزودت من ريشرد قبلة الوداع الاخيرة وخرجت وكان ريشرد يتبعها بنظرهِ من بعيد وعلى وجههِ تبسمٌ مخيف

وبلغت فلورندا الكنيسة ولكنها قبل ان تتم سماع صلاة الاكليل سقطت الى الارض فاقدة الحياة في نفس الدقيقة التي فاضت فيها روح ريشرد في غرفتهِ

فانقلب ذلك العرس مأتمًا وحُملت جثة فلورندا الى منزل ابيها فوجدوا ريشرد جثةً هامدة . فعظم الخطب على والدها المسكين واقبل تارةً يلوم نفسهُ وطورًا يلوم التقادير واخيرًا غلب عليهِ الغمّ والندم فلم يقوَ جسمهُ الضعيف على مقاومة هذين العاملين ولم يلبث ان لحق بابنتهِ وحبيبها في نفس ذلك النهار فدُفن الثلاثة في قبرٍ واحد